قاضي الموتى

info@darak-egy.com
02 24832669-010 27251915
51 ب شارع النزهة – من امتداد رمسيس – القاهرة.
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر.

قاضي الموتى

اسم النص الأصلي: justice harbottle

اسم المؤلف: جوزيف شيريدان

ترجمة: بسمة الخولي

تصميم الغلاف: أسامة علام

تدقيق لغوي: هالة أبو المجد

رقم الإيداع: 2019/25020

الترقيم الدولي: 978-977-6634-30-5

الطبعة الأولى: 2019

جوزيف شيريدان

قاضي الموتى

رواية

ترجمة

بسمة الخولي

دارك
للنشر والتوزيع

إلى السيد المحترم، ويديه المخضبتين بالدم

الفصل الأول

منذ ثلاثين عامًا مضت، رأيت الرجل الغريب للمرة الأخيرة.

لم يكن أحد أولئك الرجال الذين يعلقون في الذاكرة، عرفته لأنني كنت أدفع له إيجارًا ربع سنوي عن أحد الممتلكات التي حصلت عليها في إنجلترا. ولولا لقاؤنا المتكرر لما كنت ميزته عن أي رجل آخر في الشارع؛ كان هزيلًا، جافًا، بائسًا، ومتشحًا بالسواد.

لم يكن كثير الكلام، ليس في تلك المرة فقط بل دائمًا وعلى مدار كل تلك السنوات التي قابلته فيها. اعتاد الإتيان إلى باب بيتي للحصول على الإيجار، نتبادل كلمات قليلة ثم يذهب ولا أراه إلا في موعد التحصيل التالي. لطالما أثار فضولي — ذلك الرجل — لأنه بدا لي كالأشباح في مشيته ومظهره. شحوبه وقلة كلامه وقلة المعلومات التي كانت لديَّ عنه رسمت داخل عقلي صورة لرجل ميت. بلا عائلة ولا صديق. شخص ميت لا يظهر إلا في أوقات تحصيل الدين ثم يعود إلى عالمه الآخر الذي لا أعلم عنه شيئًا.

جاء الرجل وذهب دون أن يخلف في ذاكرتي أي انطباع عدا الفضول، وبالطبع كنت أنساه ما إن يخرج من الباب. لكن في تلك المرة، المرة الأخيرة، كان مختلفًا.

لم يكن الرجل الغريب المتشح بالسواد متزنًا، بدا — رغم أن هذا ما ظننته ممكنًا — أكثر رعبًا وأكثر شحوبًا، جاءني قبل موعد نقد ماله بأسبوع كامل، أخبرني بصوت غريب بارد أنه اتصل بي مرتين قبلها ليعلمني أنه في حاجة إلى استلام المال قبل الموعد. وهو ما لم يحدث قبلًا أبدًا.

دعوته للدخول فقبل ببساطة غريبة، انهار على أحد الكراسي مخرجًا منديلًا ليمسح حبات العرق التي تراكمت على جبهته. رفض شرب الشاي لكنه اعتذر مرارًا. وحين سألته عن السبب أخبرني مترددًا أن عليه دفع إيجار النزل الذي يقيم فيه مبكرًا لأنه سيرحل عنه للأبد.

في تلك الأوقات كان تغيير مكان الإقامة فعلًا غريبًا. الحياة في إنجلترا لم تكن سهلة أو رخيصة، ولم يكن سهلًا إيجاد مكان ثابت للاستقرار، لذا كلما وجد أحدهم مكانًا مناسبًا لم يكن ليتركه بسهولة، لم يكن الانتقال واردًا كثيراً في تلك الأيام. لذا سألت عن السبب الذي دفعه لاختيار الرحيل، هل لديه مشكلة ما؟ هل بوسعي المساعدة؟

توقعت الكثير من الإجابات، لكن ما قاله لم يكن ضمنها.

- لم أعد راغبًا في البقاء مع الموتى.

توقفت عن الكلام فورًا واكتفيت بالتحديق في وجهه في حين حاول هو تحاشي نظرتي، اعتدل في الجلوس وبدا راغبًا في الرحيل لدقائق، ثم أغمض عينيه وجلس باستقامة، التقط أنفاسه وقال:

- أعتذر إن كنت أثرت قلقك، لكن ما رأيته البارحة كان فوق قدرتي على الاحتمال.

سألت عن التفاصيل فقال:

- سأبدو لك مجنونًا.

- لا..

قلتها بثقة ثم طلبت من جديد:

- أخبرني، علِّي أستطيع مساعدتك.

تنهد الرجل وحرك رأسه:

- لا أظن يا سيدي، ولا أظن أنني راغب في الحصول على المساعدة. سأترك المكان على أي حال.

صمت للحظة ثم قال:

- لكن، في حال فكرتَ في الانتقال إلى مكان جديد يومًا ما، عليَّ تحذيرك من ذلك المكان، البيت القديم في ويستمانستر.

***

كان المنزل القديم واقعًا في أحد الشوارع المظلمة في ويستمانستر، أحد تلك المباني السوداء ذات النوافذ المؤطرة الضخمة والواجهات المكسوة بالخشب المشغول. فسيح، عامر بالأثاث، لكنه شبه مظلم دائمًا، وبارد.. البرد كان شيئًا أساسيًا هناك.

على واجهة المبنى الأمامية أُلصق إعلان عن أن المبنى متاح للبيع أو التأجير، لكن لا أحد بدا وكأنه يهتم. أو لأكن أكثر دقة، لا أحد بقي مستعدًا لامتلاك

مثل ذلك المكان. لذا ظل المبنى خاويًا إلا من بعض مستأجرين قلائل لبعض الغرف فيه، في حين ظل الجزء الأكبر من المبنى فارغًا ومغلقًا لا أحد يعرف ما يدور خلف أبوابه أو عبر نوافذه المغطاة بالسخام وخيوط العنكبوت.

كانت سيدة طويلة، غريبة، ضخمة، ترتدي الحرير الأسود بصورة دائمة، صاحبة عينين واسعتين متعصبتين دائمًا، تبدوان وكأنهما تراقبانك باستمرار حتى لو احتميت منها خلف باب حجرتك، هي المسؤولة عن المبنى. مع خادمة واحدة تعيسة تهتم بكل شؤون المبنى وحدها. حين انتقل الرجل للإقامة في المبنى بعد أن اختاره بسبب رخص سعر الإيجار، أخبرته السيدة أن البقاء هنا له قاعدتان أساسيتان: لا حفلات أو إدارة أعمال لا شرعية، ولا حديث عن أسرار النُزل للغرباء.

بالطبع كان بوسع الرجل استيعاب الشرط الأول، لأن كثيرًا من العائلات المحافظة في لندن كانت تضع ذات الشرط إن سعوا لإيجار أحد ممتلكاتهم للغرباء، ولأن الحفلات كانت شيئًا شائعًا في ذلك الجزء من بريطانيا، كان عليهم وضع الشرط كجزء أساسي من عقد الإيجار. لكن ما لم يفهمه هو الشرط الثاني، ظل ذلك الشرط عسيرًا على التفسير.

لم يكن هناك سواه في المبنى كله في ذلك الوقت، بعد رحيل المستأجرين. لذا لم يكن هناك تفسير منطقي لـ"أسرار النزل" إلا إذا كانت تعني أسرار الأخشاب والحجارة، ربما. لكنه على أي حال وافق على الشرطين وانتقل إلى هناك سعيدًا. كان قد استأجر غرفتين كبيرتين نوعًا. غرفة معيشة قرمزية اللون،

فسيحة ذات أثاث بني قديم. وغرفة نوم ملحقة بها، مع مكتب وخزانة ضخمة حيث كان بإمكانه تخزين كتبه وأوراقه وأي ممتلكات أخرى قيمة.

تلك الخزانة، كانت سبب هروبه من المبنى الأسود، بلا عودة.

***

لعامين كاملين ونصف بقي الرجل في النزل الغريب، لم تقابله مشاكل هناك ولم يقابل أي زوار أو نزلاء آخرين. ظل المكان فارغًا إلا منه، والسيدة الغريبة، والخادمة التعيسة. حتى هاتان كانتا تغادران في الليل ولا تعودان إلا في صباح اليوم التالي. كان يكره الوحدة لكنه لم يشتكِ، اكتفى بتكديس أشغاله وعمله كله في أيام متتالية ولأوقات طويلة حتى ينام فور عودته، كانت تلك الخطة، وتلقائيًّا بمرور الوقت تحولت إلى فعل اعتيادي وروتين يومي للعامين ونصف.

لكن مع مغيب شمس ذلك اليوم، وللمرة الأولى وجد عينيه تحدقان بواجهة المبنى. بالشارع الصغير مر الجميع ورؤوسهم مدلاة، أعينهم شبه مغمضة، لا أحد يتحدث مع جاره ولا عربة تقف منتظرة، كان الكل يمر من هنا دون أن يرفع أحدهم عينه لينظر إلى البيت الذي بدا وكأنه انبثق من الأرض، أسود كالقطران، سامق نحو السماء الشاحبة المخضبة بالحمرة. تلك كانت المرة الأولى التي يرفع بها عينيه لينظر إلى البيت الذي أوشك على احتضانه لعامين، وتلك كانت المرة الأولى التي يلاحظ فيها أن النوافذ المرتفعة على الواجهة بطرف المبنى، كانت مضاءة من الداخل. ذلك الجزء من المبنى كان مغلقًا دائمًا على حد علمه، لم يكن ليتذكر تلك المعلومة لولا أن غرفته تقع بالدور ذاته، في مقابل تلك الغرفة ذات النافذة المضاءة تمامًا.

هل حل بالمكان نزيل جديد؟، سيكون هذا من حسن حظه. على الأقل سيحصل على جار أخيراً. لم يرتب في الأمر حتى حين لاحظ ظلًّا ما يتحرك في الداخل، لم ير هيئة صاحب الظل من مكانه بالأسفل لكن الحركة أكدت له أن نزيلًا جديدًا قد صار جارًا له بالدور ذاته وبالغرفة المقابلة لغرفته.

لم ير صاحبة النزل حين دخل، ولم يستطع العثور على الخادمة أيضًا. لذا صعد إلى الغرفة مباشرة وقد قرر العروج على صاحب الغرفة الجديدة كي يلقي التحية. بدأ في ترتيب ما يرغب بقوله في عقله، لكنه ما إن وصل إلى وجهته حتى وقف بمكانه، وقد فرت الكلمات من عقله.

خلفه كان الممر الذي يفضي إلى باب غرفته، مع 4 غرف بين غرفته وبين السلم. أمامه كانت أربع غرف أخرى على الجانب الأيسر وغرفة وحيدة في الواجهة، تمامًا كالجهة المقابلة. لاحظ من قبل أن المصابيح في تلك الجهة مقفلة، وورق الحائط متآكل. بالطبع فعل وسأل المضيفة فأخبرته أن تلك الجهة من المبنى تحتاج إلى الصيانة، وأن الأرض بها متهالكة وغير صالحة للاستخدام لذا يبقونها مغلقة حتى تتحسن الأحوال.

لأن الممر كان مظلمًا دومًا لم يلاحظ من قبل أن أبواب الغرف لم تكن مغلقة بإحكام فقط، بل كانت مثبتة في أماكنها بألواح خشبية متقاطعة. كلها عدا ذلك الباب في نهاية الممر، في مواجهته مباشرة. كان الباب الوحيد الذي حل محله جدار كامل داخل الإطار الخشبي من الحجارة. لم يره من قبل، لم يلاحظه أبدًا لأن المصابيح في تلك الجهة لا تضاء أبدًا.

لكن الآن، وعلى ضوء مصباح وحيد تمت إضاءته في هذا الجانب، رأى المشهد. وعادت إلى ذاكرته حقيقة أن الغرفة مضاءة، وأنه رأى أحدهم يتحرك فيها. فجأة شعر بقلبه ينقبض، تلوت أحشاؤه فتراجع، خطوتين في البداية ثم ركض إلى حجرته الخاصة وأغلق الباب بإحكام.

لا، لم يطلب الخادمة أو يسأل صاحبة البيت. لسبب ما شعر بأن كلتيهما ستنفيان ما رآه. ما الذي أعطاه ذلك الشعور؟ لم يكن يعرف، لكنه الآن كان واثقًا أن ما رآه لم يكن نزيلًا، وأنه إن رغب في أن يُترك وشأنه عليه أن ينسى الأمر تمامًا ويمارس حياته وكأن شيئًا لم يحدث.

لكنه للأسف لم يُترك وشأنه.

***

في تلك الليلة وبينما هو على حافة النوم، شعر بفراشه يهتز. لم ينتبه في البداية لكن صوت باب الغرفة أجبره على الانتباه، ببطء ثم في خلال ثوانٍ أصبح بكامل وعيه.

أمامه على ضوء المصباح الصغير الزيتي الوحيد بالغرفة كان باب الخزانة قرب باب الغرفة المفضي إلى حجرة المعيشة يتحرك بهدوء، ببطء لكن بوضوح. اعتدل في الفراش وفتح فمه لكنه عجز عن إخراج أي صوت حين رأى اليد العظمية تمتد من الداخل إلى الخارج، مستندة إلى باب الخزانة. قبل أن يظهر الجسد الكامل لرجل.

أمامه وقف الرجل الشديد الطول، يرتدي لباسًا كهنوتيًّا أسود من رأسه

إلى أخمص قدميه، كان شديد النحافة بملامح صارمة، أصابع يديه متآكلة حتى العظام، لكن عينيه في محجريهما، غاضبتين حتى أوشك على رؤية الشرر يتطاير منهما. تحرك الرجل مبتعدًا عن الخزانة، متبوعًا بجسد آخر، انزلق كذلك من الداخل، كان رجلًا أكبر سنًّا، في السبعين على أقل تقدير. ولم يرتدِ هذا الأخير لباسًا كهنوتيًّا بل قميصًا أبيض ذا أكمام منفوشة، ثياب قديمة تعود إلى قرون مضت. كان أكثر بدانة لكنه صارم كذلك، أقصر قامة، بلا فك سفلي وبمحجرين فارغين.

لم يبدُ عليهما الانتباه إلى أن صاحب الغرفة فيها ولا لاحظا وجود جسد على الفراش. تمتم الحي صلاة سريعة لكن الأموات ظلوا هناك، تحركا تباعًا جوار فراشه، إلى الجدار، ثم ومن رأس الفراش إلى آخره. رغب في الصراخ، في الركض، لكن جسده بدا مشلولًا له، فرقد هناك فاقدًا الإرادة، مراقبًا بعين متسعة وقد انتصبت كافة شعيرات جسده.

لم ينزلق الطيفان على الخشب بل مشيا الواحد تلو الآخر وكأنهما حيَّان، أسفل منهما اهتزت الأرض ومعها اهتز الفراش. لكن أيًّا منهما لم يلتفت. ثم توقفا، مباشرة أمام الفراش ليعتلي الرجل ذو القميص كرسيًّا غير مرئي حيث وقف ثابتًا لنحو دقيقة. ثم قفز فجأة، متدليًا من مشنقة ظهرت كما ظهر كليهما من الهواء.

في تلك اللحظة صرخ الرجل، صرخ وقفز من فراشه وتعثر لينكفئ على وجهه، لكنه قام وركض مغادرًا الحجرة، والبيت بالكامل في لباس نومه.

***